مجلة "مدارات في اللّغة والأدب" الصادرة عن مركز مدارات للدراسات والأبحاث، تبسة–الجزائر.

المجلد:01. العـدد: 03. السنة:2019. ص 07– 20
ISSN 2661-765x

بنية التعالقات النصية في رواية "شعلة المايدة"[1] لمحمد مفلاح

* أ. فتيحة العزوني

قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران1، أحمد بن بلة، الجزائر.

البريد الالكتروني:lazouf@gmail.com

ملخص البحث

تعود أحداث السرد في رواية شعلة المايدة" ل"محمد مفلاح " إلى الفترة التاريخية الممتدة من شهر جوان 1772م وهو تاريخ زيارة الخليفة "محمد بن عثمان الكبير" إلى زمورة إلى مطلع تاريخ بداية انسحاب الإسبان من مدينة وهران سنة 1792 م أي أثناء الحكم العثماني للجزائر.

ويتكشف وعي "مفلاح" التاريخي في التقنية الكتابية التي توسلها ، حيث استوقفته سجلات هذه المرحلة التاريخية، غير أنه قام بتحويلها روائيا، أي بدل هويتها الأولى وأمدها بهوية جديدة. إن هذه العملية التحويلية الجديدة التي تستبدل هوية النص بهوية مغايرة تقيم تعالقا لغويا و جماليا بين جنسين كتابيين مختلفين. وتكمن جمالية النص في ذلك الجدل المضمر بين النص الروائي بتلويناته والسجل التاريخي.

Abstract:

The events of the narration in the novel of the torch of Al-Maida "belong to Muhammad Mafllah" to the historical period from the month of June 1772, the date of the visit of the Caliph "Mohammed bin Othman al-Kabir" to Zamora to the date of the beginning of the withdrawal of the Spanish from the city of Oran in 1792 during the Ottoman rule of Algeria.

The historical awareness of "Mafllah" is revealed in the written technique he sought. The records of this historical stage were stopped by him, but he transformed it into a novelist, instead of its first identity, and extended it with a new identity. This new transformation process, which replaces the identity of the text with a different identity, evaluates linguistically and aesthetically speaking between two different genres. The aesthetic of the

* المؤلف المرسل: أ. العزوني فتيحة lazouf@gmail.com

text lies in the inherent controversy between the narrative text with its illustrations and the historical record.

تمهيد:

تقدم رواية " شعلة المايدة"[1] نفسها ضمن مسار الكتابة الروائية لدى الروائي الجزائري "محمد مفلاح" كنص تأسيسي لبنية نصية تستند في سجّلها إلى نصوص تاريخية سابقة عليها، فعبر126 صفحة من القطع المتوسط ، توسل الكاتب المراجع التاريخية لبناء متخيل روايته، سواء من منطلق مرجعي تناصي أو من منطلق تحويري تخييلي ، وتم استحضار ذلك كله من منظور استعادي للحكم العثماني في الجزائر، ليتحول النص إلى نسيج من الإحالات المرجعية، تعالقت لتبئر مدينة "وهران".

إن إعادة تشخيص الحدث التاريخي في رواية "شعلة المايدة " وفق المنظور الخاص للكاتب هو تحريض للقراءة النقدية على استنطاق الوظائف والدلالات ، وهو ما نتوخاه في ضوء هذه المقاربة التي تتقصّد الوقوف على طبيعة التعالقات التي تجمع بين السجلين التاريخي والسردي في النص الروائي المنتخب للقراءة .مع الكشف عن المقصدية المتحكمة في ذلك، وكذا الاستفهام عن آليات تشغيل التاريخ ضمن سياق الانتاجية الروائية دون التضحية بالشرط الجمالي.

في ضوء ذلك تغدو معرفة المكونات النصية لرواية " شعلة المايدة" مدخلا رئيسا في تحديد التلوين الدلالي الخاص بهذا النص، لأن عالم الدلالات إنما "ينبني ضمن هذه المكونات ومن خلالها "[2] . وقد تحدد الإشكال معنا وفق الصيغة التالية: ماهي أهم المكونات التي يستند إليها النص في بنيته وفي انتمائه إلى هذا النوع الأدبي ؟ ثم ما هي مقاصده التاريخية واللغوية والجمالية؟

[1] – محمد مفلاح، شعلة المايدة، دار طليطلة للنشر والتوزيع،2010.

[2] – سعيد بنكراد، السرد الروائي وتجربة المعنى، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء المغرب،(ط.1)،2008.،ص.28.

إذن سنخترق من خلال هذه المعالجة بنية التعالقات النصية في رواية "شعلة المايدة" ، انطلاقا من انتقائنا لثلاثة مكونات بدت لنا عائمة في السرد هي: مكون الحلم ، مكون الرحلة ومكون التاريخ. وسنجلي التعالقات اللغوية والجمالية بين هذه المكونات من خلال محاور ثلاثة هي:

1. **أوقاع الحلم وسجلات التاريخ:**
2. **.الحلم باعث على الرحلة :**
3. **. تجليات التاريخ ضمن الأفق السردي:**

1. أوقاع الحلم وسجلات التاريخ:

تنفتح رواية "شعلة المايدة" على شخصية "راشد" شاب من مدينة "غليزان "وهو يستحضر الرؤيا الذي رآها "السي جلول"صاحب زاوية مينة للمرة الثانية عن تحرير مدينة "وهران" من الغزو الإسباني. راشد اسم الشخصية المحورية ، وهو صاحب المقام الأول في الحضور السردي بالقياس إلى كل الشخصيات الأخرى ، خاض تجربة حيوية ظلت متدفقة ، حيث غطى السرد أكثر من عشرين عاما من عمره . وهو "شخصية صامتة، بسيطة تعرض أمام المتلقي بواسطة عين السارد، وظيفته السردية تنوب عنه في الكلام، نفذ مقترح الحلم أمام حضوره المتعالي كفكرة داخل وعي والده "سي الطاهر" .

يقول السارد." توقف راشد لحظة سوى فيها عمامته ذات الذؤابة القصيرة ثم واصل سيره الحثيث في الدرب الترابي الضيق إلى دوار العين . لقد أصبح يشعر بحالة من الفرح الممزوج ببعض القلق منذ اللحظة التي سمع فيها الشيخ جلول ، صاحب زاوية مينة ، يتكلم بهدوء عن رؤيا شهدها للمرة الثانية ."[1]

[1] – محمد مفلاح، شعلة المايدة، ص.3

تربك هذه الافتتاحية (Incipit) متلقيها عندما تخيّب أفق انتظاره La) Déception d' attente) بمرجعية مغايرة للنموذج التاريخي. مما قد يعثّر عملية التلقي ذاتها. فضلا عن الفراغ المطلق(Le vide absolu)الذي يجد القارئ فيه نفسه بسبب البنية الحلمية التي تتصدر نصا روائيا تاريخيا . في الوقت نفسه فإن هذه الافتتاحية ستطبع النص بميسمها، باعتبارها ثروة الانطلاق عنها تنبثق حركة السرد ، ليتموقع النص تبعا لذلك بين سؤال الحلم ومعطيات الواقع . هنا تنفتح البداية مباشرة على ما يؤكد هويتها لدى تمظهر هذه البنية الحلمية كمركز للتلاعب ببنيات المعنى وكثافته.

من جانب آخر فإن هذه الافتتاحية تمنح النص بعدا فنيا ، يبعدها عن صرامة التاريخ ، وهو ما يسوغ الشكل الذي تتخذه الرواية لاحقا. هنا تنتقل الكتابة من زمن غير روائي إلى زمن روائي بامتياز ، وهذا الانتقال يكون مصحوبا بانتقال القارئ من تلق سجل تاريخي إلى تلق أوقاع حلمية متخيلة. وكأن النص يستقوي بالحلم لإعادة الوعي الفني إلى مساره، وهو به إنما يشوش على المعرفة التاريخية . إن عمل الخيال هنا لا يأتي من فراغ فهو على حد تعبير ريكور يرتبط بالنماذج التي يوفرها التراث[1].

لقد خلقت الكتابة لنفسها علامة بها تم تحقيق التوازن ما بين التخييلي والتاريخي، فرواية "شعلة المايدة" من هذا المنظور علامة فنية في بيان هذا الحراك من وجهة البحث عن الحقيقة

[1] – بول ريكور، الوجود والزمان والسرد، ترجمة وتقديم : الغانمي (سعيد) ،(ط.1)، الدار البيضاء ،المغرب المركز الثقافي العربي ،ص.52.

التاريخية من منظور فني مغاير للتاريخ، فـ" نص الزمن المستعاد لايقول ما يشاء ، بل ما شاءت له الكتابة المبدعة أن يقول".[1]

يشكل الحلم في النص نقطة البداية، ولأنه فائض في المعنى فإن حركة السرد تبني نفسها بالاستناد إليه . تأسيسا على ماسبق يبدو الحلم عنصرا ضمن نسق رمزي به يعلن السرد عن نواياه. وللحلم في سياق النص الروائي طاقة دلالية تحيل على سجلات رمزية بدل سجلات التاريخ ، فضلا عن كونه مرجعية مباشرة للعنوان نفسه "شعلة المايدة" ، وحضوره في افتتاحية الرواية مؤشر على ضرورة انتقال القارئ من حالة الفعل التاريخي الواقعي إلى حالة من الإستيهام الجمالي. فهو تمثيل للأحداث التاريخية في خطاب رمزي . به يتوجه النص وجهة خاصة ، وبه تخلق الكتابة عوالمها التي تنزاح كثيرا عن قوانين التجربة الواقعية ، مما يرمي بالمتلقي إلى الارتكاز على شعرية ما .

إن الوجدان الإنساني لشخصية "راشد" ووالده "الطاهر"... تبنيه الحكايات والشعائر الدينية ، والأحلام ...إنه رصيد ثقافي متعدد الإحالات ، من هذا المنظور نتصور أن الكتابة في اشتغالها على الحلم إنما تبحث عن مكامن القوة في الوعي المعرفي وأسباب الإقناع والتأثير في الوعي الجمعي الجزائري ضمن الصراعات الكبرى التي تتحرك في المجتمع . في ضوء تصورنا هذا يصبح الحلم وقودا لفاعلية الوعي ، وعنصرا مولدا للدلالات التي تمتزج بها الضغوطات الاجتماعية. وكأن بالكتابة تبحث في ذاكرة الشعب الجزائري الثقافية والرمزية ، انطلاقا من أوقاع الحلم التي تحتل موقعا خاصا ضمن الهرم الثقافي.

تمنح الصورة الحلمية لشخصية "راشد" إشباعا مخياليا على حد تعبير " فرويد"، فهي فرصة جديدة للتأمل والانفصال عن إكراهات الواقع المباشر، بها تتحرر المعاني. فالحلم هو الرغبة المنتجة لصور متجددة تحل محل الموضوع الواقعي وتدرجه ضمن قوانينها.

[1] – حسن المودن، الرواية والتحليل النصي –قراءات من منظور التحليل النفسي، منشورات الاختلاف ،(ط.1) ،2009 ، ص.231.

الحلم في هذا النص حالة رمزية لا واعية ،غير أنها قابلة للتجسيد، من خلال الرحلة التي ستعزم عليها شخصية "راشد" ، انطلاقا من مكون الرحلة إذن تدخل أحلام الذات في صلب إنتاج المعنى لدى إبحارها في عوالم الرحلة.

2.الحلم منبع لحركة الرحلة :

عن الحلم تفيض الحركة السردية، ففي مقابل البنية الحلمية التي يلفها الغموض ، إذ لم يتمكن "راشد" من فك أسرارها ، هناك بنية أخرى تتبلور ضمن تسلسل حدثي يرصد السرد تحولاتها، فالحلم إذن استشراف لحركة سردية أخرى، إنها الرحلة .

إن الرغبة في الوصول إلى نقطة ما هي التي تفسر طبيعة هذا الإيقاع السردي للأحداث، ففكرة تحقيق الحلم تقتضي حركة في الزمان والمكان وتغيير للمواقع والحالات.

يبحر "راشد" في رحلته لتجسيد حلم الجماعة في تحرير مدينة "وهران" من الغزو الاسباني، إن رضى "راشد" وقبوله بمغامرة الرحلة كمقترح صادر عن والده "الطاهر" ، و الذي يعرضه السرد متسائلا:" متى يتغير الوضع؟ "[1] يسكن في التفاصيل السلوكية التي تمثلها الطاعة والامتثال.

هذه الشخصية / الوالد "سي الطاهر" بقدر ما هي ضعيفة جسديا بحكم تقدمها في السن ، وبقدر ما هي معدومة بحكم فقرها، إلا أنها تتبوأ بفضل صفة " الشيخ" رتبة ثقافية سياسية واجتماعية. إذن يؤهل الاسم المركب بكل وشائجه هذه الشخصية لأن تصبح بؤرة مركزية للصراع السردي حيث حولت مجرى السرد بفعل برنامجها السردي الذي سجّلت أول حضور لها فيه من خلال سؤال استراتيجي فاصل أطلقته من خيمتها البالية وهي تحاور أخاها "الحاج يحي" قلقة بخصوص الوضع السياسي في الجزائر.

[1] – محمد مفلاح، شعلة المايدة، ص.4.

تمتاز هذه الشخصية برصيد معرفي وذخيرة تناصية متماسكة مكنتها على المستوى النصي من قراءة إيجابية للمحيط الاجتماعي وسيرورة التاريخ العام. لقد أدركت أنها تنحدر نحو الموت فكلفت ابنها "راشد" أن يستعدّ للمشاركة في تحقيق حلم تطهير مدينة "وهران" من الغزو الاسباني وكذا تطهير ذاته من الجهل بالعلم.

"راشد" ذات اسمية ، لها دور تيمي، سلوكها محكوم بخطاطة سردية، انطلاقا من هذه الخطاطة السردية أصبحت هذه الشخصية متواجدة في مركز القصة التي تجاوزتها لتحكي عن الآخرين وليس عن نفسها. لذا نحسب أن "راشد " خانة معرفية تمكن المتلقي من فك البرمجة المسبقة للأفعال وتعينه على توقع ما يمكن أن يحدث.

في ضوء هذا التخريج يبدو لنا أن الخطاب السردي يستمد مشروعيته من الجماعة و"راشد" ذائب في الجماعة، بالتالي الخروج من الذات والالتحام بالجماعة هو استراتيجية خطابية منظمة . وإذا اعتبرنا شخصية "راشد" علامة إيديولوجية ذائبة في الجماعة، فإن هذه العلامة تحاول أن تقدم رؤيا للعالم بتعبير لوسيا قولدمان، لتكتسي صفة الشمولية في حقل التاريخ.

إن سلوك شخصية "راشد" وتبنيه لوظيفة الرحلة تحقيقا لحلم تحرير مدينة "وهران" من الغزو الاسباني، يخضع لبرمجة مسبقة تجتمع حولها مجمل الأدوار الاجتماعية من طلبة ، علماء ومشايخ ... وتفعيل حضور هذه الشخصية لا يكون إلا من خلال هذه الوظيفة السردية ، بل وتصبح "الرحلة" مبررا لحضورها.

إن مسار تحولات الرحلة سيفضي إلى تشكيل الأنا المعبأة بمشروع الجماعة ،عبر العناصر المنتجة لها ، من خلالها يتحدد الفعل الروائي ، فضلا عن كونها تكريس للحضور الفعلي لشخصية "راشد" يسجل من خلالها حضوره الثقافي في التاريخ من خلال فعل الكتابة التي أصبح يباشره في المدارس التي تردد عليها أثناء تنقلاته في "بايليك الغرب". بالتالي تصبح الرحلة بحسب منظورنا انفتاحا للقوى الإنتاجية للذات الجزائرية ممثلة في "راشد". وكأن النص يمجد الذات الجزائرية ويؤكد

على خصوصيتها ودورها في صياغة التاريخ المحلي بدل العثمانيين. هي إرادة فنية واعية تريد أن تظهر السيرورة الحيوية للذات الجزائرية التي تحضر و تتحرك داخل النص معبأة بالقيم الروحية وأشكالها الرمزية . يقول باي بايليك الغرب :"تطوع خمسون ألف مجاهد في ظرف أسبوع في جيش البايليك لمحاربة الغزو الإسباني على وهران. "[1]

على امتداد زمن الرحلة تتبدل الأمكنة والشخصيات وتتوالد الأحداث، الأمر الذي يضفي عل هذا النص طابع المتعة والتشويق في المغامرة. ، بدءا من حركة "راشد" في الفضاء من زمورة إلى مازونة إلى معسكر، إلى الجزائر العاصمة إلى وهران ، ليعثر أخيرا على مبتغاه . وكأنه قصد إلى فهم ذاته في بعدها المتحرك وليس الثابت. عطفا على ما سبق يصبح مصدر لذة القراءة هو السيرورة التي تقود القارئ من رحلة إلى أخرى، إنها لعبة التأجيل بتعبير "جاك دريدا".

الرحلة في النص هي ذلك الفضاء الأصلي الذي يستوعب المسارات السردية القابلة للتحقيق ، هي كذلك القدرة على التحول إلى قوة ثورية تصنع تاريخها. الرحلة من منظور النص دائما تؤسس لاستراتيجية ثقافية توصف بأنها "ليست كتلة جامدة ولا ماهية ثابتة ، ولا عقلية متحجرة ، وإنما علاقة توتر مستمرة، وثمرة هذا التوتر الدائم بين الوعي والواقع ، والذات والموضوع ، والحاضر والمستقبل ، والحلم و الإمكان "[2]. من خلالها يستشعر القارئ أن هذه الذات الوطنية متواجدة في عمق السيرورة التاريخية. تتحرك لتصنع تاريخها.

يقول محمد الشلفي –وهو طالب في إحدى مدارس مازونة– لراشد: يبدأ التاريخ الحقيقي حين يستعد الإنسان لصنعه"[3].

[1] – محمد مفلاح، شعلة المايدة، ص.97

[2] – برهان غليون، اغتيال العقل ،سلسلة صاد، موفر للنشر،1990،ص.86.

[3] – محمد مفلاح، شعلة المايدة، ص.104.

إن الوصف بوصفه ممارسة نصية كثيرا ما يخفف الوطء عن المسار الثقيل للسرد ، لذا نلفي الكتابة قد أضفت حالة من الشاعرية على فضاء الرحلة عبر العديد من المشاهد الوصفية واللقطات التصويرية الطبيعية التي طفحت بعبق الموروث ، والطبيعة في النص لم توصف لذاتها ، "إنها هنا كما يجب أن تكون أو كما تود العين أن تراها"[1] . وفي ذلك تلميح من النص على أن "راشد" يعيش تاريخه عبر هذه الفضاءات دون غربة ، ويتأمل مكانه دون اغتراب. فأينما حل يتعايش مع المكان و الإنسان ، ويجد المأكل والمأوى، مثلما يجد المعلم ، الصديق والأنيس.

ولدى إعادة بنائنا لعناصر هذه الشخصية لدى عملية التلقي لاحظنا أن طلب العلم هو مبرر الرحلة، بهذه الخطوة ينطرح أمامنا المعطى الثاني في التكوين الذاتي. ويواجهنا اسم "راشد" في كل مرة معبأ بأبعاد موجّهة للعبة البناء النصي حيث خلق السارد من صمتها بياضا ليفضح المتواري في سجلات التاريخ، لاسيما وأن هذه الشخصية تردّدت في تدوين سيرتها الثقافية والحضارية التي عاشتها على مدى سنوات لتمحو بذلك أثرها، وتسمح لخطاب السلطة العثمانية أن يتمركز بدلا من خطابها ، على أنه الخطاب الرسمي الأوحد. ونحسب أن السارد في "شعلة المايدة" قاوم صمت هذه الشخصية، بل و أنقذها من الغياب كاشفا عن إسهاماتها في صنع الجزائر حضاريا وثقافيا بحيل سردية نراها قد تجلت بشكل أكبر مع شخصية الصديق "محمد الشلفي الذي يقول في هذا الملفوظ السردي: ."

"سجل راشد بعض أحداث الرحلة في أوراق صغيرة ظل يحتفظ بها في قرابه ولكنه لم يدون كل ملاحظاته ..." [2]

[1] – سعيد بنكراد، السرد الروائي وتجربة المعنى، ص.182

[2] – محمد مفلاح، شعلة المايدة، ص.102.

3 . تجليات التاريخ ضمن الأفق السردي:

تحمل رواية "محمد مفلاح "من الخصائص ما يرمي إلى تصنيفها رواية تاريخية ، فهناك الفترة التاريخية المحددة التي يدور فيها السرد والممتدة من شهر جوان 1772م وهو تاريخ زيارة الخليفة "محمد بن عثمان الكبير" إلى زمورة إلى مطلع تاريخ بداية انسحاب الإسبان من مدينة وهران سنة م 1792أي أثناء الحكم العثماني للجزائر.

تبحث شخصية "راشد" الصامتة عن تاريخ مخفيّ ، مما جعل الكاتب يشتغل عليها. ويبدو لنا أن "مفلاح" غامر بسؤاله رغبة منه في تسليط الضياء على تاريخ تحرير مدينة "وهران" من الغزو الإسباني أيام الحكم العثماني على يد الباي "محمد بن عثمان الكبير" . وكأن به بمساءلته لهذا التاريخ يرغب في معرفة نفسه وتعيينها. فضلا عن طموح كتابته إلى إبراز البنية العميقة للذات الجزائرية. والكتابة بذلك إنما تسعى إلى تأصيل ذاتها بوضعها للثابت والمطلق مثار تساؤل. من هذا المنظور تتفعّل الكتابة إلى أداة وظيفية " تريدنا أن نفكر في سبيل تأسيس معرفة بذواتنا و أوساطنا وعوالمنا ومصائرنا"[1].

من هنا راحت الكتابة الروائية تختبر هذه المرحلة التاريخية لتملأ بياضها، ففاضت "شعلة المايدة"، حيث خلقت مصائر شخصيات جديدة قديمة ضمن أفق تاريخي. وانخرطت في عصرها انطلاقا من شخصية "راشد" التي توخى الكاتب بها تعميق عنصر الدهشة لدى قرائه.

يرحل "محمد مفلاح " إلى أقاليم التاريخ ليقرأ أسئلته كأن به قد تحصف به الشك وجافاه اليقين بعد أن خذلته شعارات الزمن الذي يعيش في كنفه . من هنا نتصور أن الكتابة اصطنعت شخصية "راشد" لتعيد من خلالها إعادة بناء التاريخ وسد فجواته من منظور الكاتب على الأقل،

[1] – م س، ص123

والذي اجتهد في رصد الروح الحاسمة التي تملأ الوعي الإنساني الجزائري في هذه المرحلة. كما اجتهد في إدارة الحراك الاجتماعي والسياسي أمام إصرار قبائل البايليك على استقلال مدينة "وهران"، ومواجهتها للقوى المادية التي أحكم قبضتها الحكم العثماني ،من منطلق أن هذا الحكم يحرص على بقاء الوضع على ما هو عليه إن بالقضاء على المقاومة وإن بمحاولة استمالة القبائل واحتوائها ، وهو في ذلك يدافع عن مصالحه في الجزائر. وبناء على ماتقدم يترتب على هذه العلامات الإيديولوجية أن تجد صدى إيجابيا لدى المتلقي الجزائري الذي يتضاد فكره مع الفكر الانهزامي.

عطفا على ما سبق من معطيات قادنا إليها التحليل نحسب أن الرواية التي نختبرها محكي يبحث في منطقة المسكوت عنه واللاّمفكر فيه. و الكتابة فيها تسعى وانطلاقا من النصية التاريخية المتمركزة في عمقها إلى إنتاج قيم بديلة عن تلك المتوارثة لا لتستعرضها ، ولكن" لتستعرض بها أسئلة الإنسان والزمن ، ولتعود عبرها إلى إثارة الخيارات الأخرى التي لم تتحقق"[1].

واستنادا إلى هذا التخريج تبرز هذه الرواية العلاقات المرتبكة بين الجزائريين والحكم العثماني. مثلما تبرز أجواء الصراع الذي طبع صيرورة الأحداث خصوصا مع القبائل المواجهة لنظام الحكم العثماني في الجزائر. مع امتثال الأتراك أخيرا للشرط التاريخي الذي كان يحيط بالباي "محمد بن عثمان الكبير" ، دون أن يفوت الكاتب تصوير الطبيعة الخيرة للباي "محمد بن عثمان".

يقول محمد الشلفي: "الجزائريون هم من شجعوا الباي محمد بن عثمان الكبير على الجهاد حتى تحرير وهران والمرسى الكبير ،وأشار إلى رباط المايدة ودور الطلبة في مقاومة الغزاة"[2] .

"لولا حماسة الشعب لما تحقق النصر" [3].

---

[1]- أقلمون (عبد السلام) ،2010، الرواية والتاريخ – سلطان الحكاية وحكاية السلطان ، (ط. 1)، بيروت ،لبنان ، دار الكتاب الجديد المتحدة،ص.246.

[2] - محمد مفلاح، شعلة المايدة، ص .123

[3]- م س، ص .123.

"الباي خاف أن تتمرد عليه القبائل فقرر أن يشق دربه نحو وهران"[1].

"لم يتحقق النصر إلى بتضحيات هؤلاء الأبطال"[2].

" العثمانيون وقفوا معنا ضد الحملات الصليبية ونحن نحترمهم لهذا السبب، ولا ننسى ما قدموه من تضحيات في مواجهة الغزاة الصليبيين ، ولكن ألا ترى أن الأتراك احتكروا لأنفسهم كل مناصب الحكم وحرموا منها آباءنا".[3]

وفي ضوء الملفوظات المدرجة أعلاه بدا لنا أن التركيب السردي للنص يخلق ضمن نسيج الكتابة شبكة من التعالقات بين مكونات النص ، من بنية التعالقات هذه ما بين المكونات الثلاثة التي استوقفتنا، نبني عالما يتميز بالاتساق والانسجام. فما سيقف عليه القارئ معنا هو أن تحقق الحلم يتعالق جماليا مع سجلات التاريخ ، وكلاهما يتعالقان مع مكون الرحلة، ، وأن بانتهاء الرحلة وتحرير مدينة "وهران" من قبل الطلبة المرابطين يفك لغز الحلم ، ويتوقف سيلان سرد التاريخ .

يقوم النص وفق التصور السابق على تعديل التعالقات انطلاقا من أشكال التحقق، ليكشف لنا من خلال مكوناته عن علاقات جديدة تعد إغناء للقيم المضمونية.

في ضوء ما حققناه يحق لنا أن نقول إن النص متعدد المقصديات، هذه المقصديات تظل قابلة للتجديد ضمن فرضيات جديدة للقراءة.

إذن نحسب أن "محمد مفلاح" يحاور الماضي بمعرفة من الحاضر ، أي أنه ينظر إلى الماضي وهو زمن محدد ومحدود بزمن لاحق أكثر اتساعا وتعقدا. ففي مقابل حداثة اجتماعية زائفة تلغي الذات وهي تنفتح على الآخر ، هجس الكاتب بحداثة أخرى تمجد الذات الوطنية قبل أن تتوسل

[1] – م س،ص .124.

[2] – م س،ص .42.

[3] – م س،ص.35.

الآخر. من هنا نخول لأنفسنا القول إن النص يقوم بنقض الواقع القائم بواقع متخيل آخر، وفي خضم إعادة قراءته لتاريخ الذات الجزائرية ، يعيد بناء قصدية النص التاريخي من خلال خلق تعالقات جديدة في النص . وهو في تصورنا إنما يقاوم هشاشة الحاضر بعبق الماضي ومناجاة أطيافه.

ويتكشف وعي "مفلاح" التاريخي في التقنية الكتابية التي توسلها ، حيث استوقفته سجلات التاريخ غير أنه قام بتحويلها روائيا، أي بدل هويتها الأولى وأمدها بهوية جديدة. إن هذه العملية التحويلية الجديدة التي تستبدل هوية النص بهوية مغايرة تقيم تعالقا لغويا و جماليا بين جنسين كتابيين مختلفين. وتكمن جمالية النص في ذلك الجدل المضمر بين النص الروائي بتلويناته والسجل التاريخي.

جمع الكاتب بين شخصيات تاريخية وشخصيات متخيلة وكان فيما يفعل يمنح الشخصيات التاريخية أبعادا تخييلية تستمد حضورها من البنية الروائية ،أعطاها النص هوية جديدة في مقابل الهوية التي أمدها بها المؤرخ. وهو في ذلك إنما يبحث عن شكل روائي مغاير يوحي بالماضي ويطرح أسئلة الحاضر ، إذن ينتج النص معرفة تخص المجتمع الذي نعيش في أحضانه، مبعث الكتابة فيه هو الهوية المأزومة، فالنص يتوسل هوية أخرى بدل هوية الحاضر المأزومة ، هي مقاربة جمالية للذات الجزائرية وللتاريخ، أنعش الكاتب في إطارها نشاط الإرادة الجزائرية على الرغم من منطق التصادم إثر اعتداء الحامية التركية على الأعراش وتهديدها بالسلاح. فضلا عن رجال الديوان في "الجزائر العاصمة" الذين لم يكونوا متحمسين لمحاربة الإسبان في مدينة "وهران".

مصادر ومراجع البحث:

1. أقلمون (عبد السلام) ،الرواية والتاريخ – سلطان الحكاية وحكاية السلطان ، (ط. 1)،2010 ، بيروت ،لبنان ، دار الكتاب الجديد المتحدة

2. بول ريكور، الوجود والزمان والسرد، ترجمة وتقديم : الغانمي (سعيد) ،(ط.1)، الدار البيضاء ،المغرب المركز الثقافي العربي.

3. سعيد بنكراد، السرد الروائي وتجربة المعنى، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء المغرب،(ط.1)،2008.

4. غليون (برهان)، اغتيال العقل ،سلسلة صاد، موفر للنشر،1990

5. مفلاح (محمد) ، شعلة المايدة، دار طلبطلة للنشر والتوزيع ،2010